الرؤية كمحور نظري أساسي. على أن الجانب النظري في هذا الكتاب لا يقتصر على الجزء الأول من المدخل العام وحده، ولكنه يطالُ بعض الأقسام الأخرى من الدراسة كالقسم المعنون بـ «جماليات المعرفة»، ثم خاتمة الكتاب التي وردت تحت عنوان «الرواية والإديولوجية».

وأهمية طُول المداخل النظرية تأتي من كونها تسمح للدارس بتحديد الأدوات المنهجية التي يشتغل بها ناقد الرواية، كما تسمح بفهم أكثر للركائز الفلسفية والثقافية التي يعتمد عليها في بناء تصوره المنهجي.

ولا نعتقد أن اختيار هذا الكتاب بالذات يعود إلى أهميته العلمية، فأغلب الدراسات التي تنتمي إلى هذا النمط تتقارب في هذا الجانب، بما تحتوي عليه من تداخل في الأسس المنهجية، بالإضافة، إلى تشعيب الموضوع بدون ضوابط أو علامات ثابتة تؤكد وحدة النسق، واطراده في مجموع الكتاب.

ولا نريد هنا أن نعطي حكماً مسبقاً في الموضوع، إذ نترك تأكيد هذه الحقيقة إلى نهاية التحليل معتمدين على معطيات ملموسة من صلب المادة المدروسة.

أ ـ الأهداف:

عندما نريد أن نحدد أهداف الكتاب في أي عمل نقدي، فنحن لا نلقي بالاً إلاّ للطموحات التي يعبِّر عنها الناقد في الجانب النظري بينما لا نهتم كثيراً بما هو ثانوي أو فرعي إلا في نطاق ما يمكن أن يقدمه من توضيح لما هو رئيسي وجوهري من آراء الناقد. كما أننا عندما نجد تعايشاً لمستويات منهجية متباينة فإننا نولي الاهتمام لما هو أكثر وضوحاً وسيطرة، كل ذلك حتى لا يضيع التحليل الذي نقوم به، في متاهات التفاصيل والجزئيات.

يحدد محمد كامل الخطيب الهدف من دراسته على الشكل التالي:

«تحاول هذه الدراسة أن تستكشف علاقة فئة من المثقفين العرب بواقعهم منذ مرحلة الخمسينات إلى الآن. والجنس الروائي هو العين التي نرى من خلالها إلى موضوعنا الذي هو موضوعهم». (ص: 5).

ويتضح منذ البداية أن هذا الهدف يقتضي أن يَلْجأ الناقد إلى استخدام تحليل اجتماعي، بل إن الجانب الاجتماعي يبدو مستهدفاً في المقام الأول، وتأتي الرواية كوسيلة (انتبه إلى عبارة: «والجنس الروائي هو العين») لدراسة هذا الجانب. ويتأكد استخدام الناقد لمنهج اجتماعي في التحليل، من خلال المدخل العام نفسه ومجمل التحليل، عندما نراه يستعمل مصطلحات تخص المنظومة النظرية للمادية التاريخية: